جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

المرحلة الثالثة

المادة : النقد العربي القديم

عنوان المحاضرة : قدامة بن جعفر ونقد الشعر

إعداد : الدكتور وسام سعود حسين داود العزاوي

المرحلة الثالثة / قسم اللغة العربية

كلية التربية للبنات / جامعة تكريت

٢٠٢٣ – ٢٠٢٤

wesamalazawy@tu.edu.iq

قدامة بن جعفر ونقد الشعر

لقامه بن جعفر في تاريخ النقد العربي مكانه لا يمكن اغفالها ٠

ويعود السبب في هذا لأمرين اثنين :

١ – ان كتاب (نقد الشعر) اول محاوله منهجية لدراسة الشعر على اساس نظري واضح ومتكامل ٠

٢ – ان قدامه بن جعفر من اوائل النقاد الذين تأثروا بشكل او باخر بالأفكار الارسطية في الشعر ٠

ومن المعتقد ان لثقافة قدامه الفلسفية والمنطقيه اثرا واضحا في نضرته الشامله الى الشعر بصفته علما او صناعه كما يقول ٠

وقد ابعدته هذه النظرة الشامله عن النزعه التجزيئية الذوقيه التي ميزة بعض الاتجاهات النقدية السابقه علية ٠

ولا يمكن بالطبع تجاهل ان هذه الثقافية التي فتحت الباب امام التأثير اليوناني بعامه والتأثير الارسطي بخاصه ٠

ويرى د احسان عباس ان للمنطق اثرا كبيرا في تأليف الكتاب وتبويبه وتقسيمه وتفريعاته وفي اساليب حصر المعاني وتحديد معنى الشعر ٠

وكان ابن النديم قد وصفه بالقول انه كان (احد البلغاء والفصحاء والفلاسفة الفضلاء وممن يشار الية في علم المنطق) ويقول ياقوت عنه (ان قدامه قرا صدرا صالحا في المنطق ٠ وانه لائح على ديباجة تصانيفه مثل كتابة نقد الشعر)

ان هذه الثقافة مكنته من دراسة القواعد العامة للنقد بصفته علما (واطلقته من اسار التشيع القديم

ليعالجه بروح فلسفية) كما يقول د شكري عيادة الا انها في الوقت نفسة ابعدته عن دراسة الشعر بصفته فنا لا يخضع للتقنين الشديد والحضر المنطقي العنيف وجعلت كتابه اشبة ما يكون بالهيكل المنطقي ٠

لماذا الف نقد الشعر :

لحظ قدامه ان العلم اقسام خمسه

١ – علم ينسب الى وزنه وعروضه .

٢ – علم ينسب الى قوافيه ومقاطعه .

٣ – علم ينسب الى غريبه ولغته .

٤ – علم ينسب الى معانية والمصد منه .

٥ – علم ينسب الى جيده ورديئه .

وقد عنى الناس قبله بوضع الكتب في الاقسام الأربعة .

ولم يجد (احدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيد من رديئه كتابا) وكان الكلام عندي في هذا القسم اولى في الشعر من سائر الاقسام المحدودة)ويقول (فأما علم جيد الشعر من رديئه فان الناس يخبطون في ذلك منذ تفقهو في العلوم فقليلا ما يصيبون ولما وجدت الامر على ذلك ٠ وتبينت ان الكلام في هذا الامر اخص بالشعر من سائر الاسباب الاخر ٠

المدح والفضائل النفسية:

اهتم قدامة اهتماما أساسيا بالمديح بوصفه غرضا مركزيا في الشعر. وهنالك من يرى أن قدامة في جوهر كتابه قد قسّم الشعر إلى بابين رئيسين هما المدح والهجاء، وهو بهذا إنّما كان متأثرا بنظرة أرسطو للشعر الذي قسّم الشعر إلى مأساة وملهاة. لكن الشعر العربي ليس فيه مأساة ولا ملهاة، لذا فقد فهم المترجمون

إلى العربية آنذاك فكرة التقسيم وترحيلها إلى الشعر العربي فهما خاطئا. إذ أصبح لديهم معنى المأساة والملهاة في الشعر اليوناني يقابله المديح والهجاء في الشعر العربي. وقد يكون هذا الفهم الخاطئ هو السبب في فهم قدامة وتقسيمه، فهو استقى أفكاره الخاصة بهذا الموضوع مما نقله المترجمون.

والمدح لدى قدامة لا يكون إلا بالفضائل النفسية فهو يقوم على فضائل نفسية أربعة هي: العقل والشجاعة والعدل والعفة. والشاعر الذي يمدح بها يكون مصيبا، ومن يتجاوزها في المدح فقد أخطا الطريق. وكل فضيلة يمكن أن يُشتق منها تفاصيل. فمن الشجاعة فضيلة الحماية والدفاع والأخذ بالثأر والمهابة ... ويتولد من خلال تركيب العقل والشجاعة فضيلة الصبر والوفاء.. ومن العقل والعفّة فضيلة الاكتفاء بأدنى معيشة... وهكذا حاول قدامة حصر المعاني وإيضاح إمكانية تشقيقها وتناولها في الشعر. وهو وجد الشعراء قد تناولوها جميعا في مدائحهم. وليس شرطا أن يستعملها شاعر معيّن كلّها. وهو يُؤمِن بأن لكل مقام مقال يقدّره الشاعر بحسب الفضائل النفسية المناسبة، فالممدوحون أصناف مختلفة وطبقات من التبدي والتحضّر. لذا فمدح الملوك مثلا، يكون بالشجاعة والكرم، ومدح الوزير والكاتب يكون بحسن التدبير والتروي. وهو يجد الفضائل المكتسبة أهم من الفضائل الموروثة، والمدح بمعانيها أقوى وأصلح.

وهنالك من يشير إلى علاقة موضوع الفضائل النفسية لدى قدامة بما تحدث عنه أرسطو وفصّل في الصحة والجمال وغيرها من الفضائل الجسمانية، وكذلك افلاطون الذي تحدث عن الفضائل وقسّمها.

فالشعر العربي منذ القدم يمدح بهذه الفضائل النفسية ويفضّلها على الفضائل الجسمانية.

وهي وأن كانت هنالك صلة واضحة بالأثر اليوناني من حيث التقسيم... ولكنها لا تعني أن قدامة أخذها مقتبسة نصّا من اليونان، ولاسيما من أرسطو، ومبدئه الذي ينص على أنّ الفضيلة وسط بين رذيلتين. (كالتهوّر والجبن بينهما فضيلة الشجاعة). ولذا يجد قدامة قياسا على هذا أن الغلو في المعاني في المدح

مذموم والغلو لديه هو الوصف الذي يخرج من باب الموجود ليدخل في المعدوم. كدعاء للممدوح بأن يعيش ابدا.

ومما أنكره قدامة على شعر المدح هو أن يتضمن الاستحالة والتناقض في المعاني، وذلك بأن يَرِد في المدح معنى ثم يرد معه معنى يناقضه. الشر والخير والعمى والبصيرة. في آن واحد. وقدامة كما قلنا مهتم بالجانب المنطقي ويصدر عنه، حتى أنّه استهجن بعض الاستعارات ورفضها استنادا إلى هذا الفهم المنطقي.

ويبقى الشكل الشعري وطبيعة الصياغة معيارا أساسيا لدى قدامة في تمييز الشعر وليس المعنى الذي يتناوله الشعر، وليس السبق في المدح أو غيره يكمن في طرق المعاني والجديدة أو ابتكارها، بل في التميّز في طريقة صياغة تلك المعاني. لذا لم يتناول قدامة موضوع السرقات الشعرية، لأنها معان، والمعاني مبثوثة متيسرة.